الخضر حسين

سلسلة أدب الفتوة

الخضر حسين

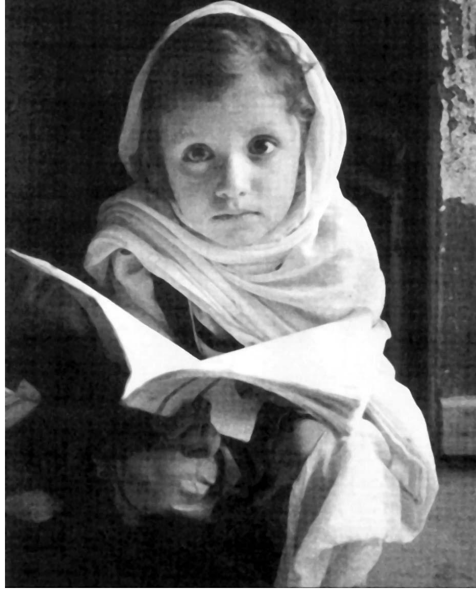


الإمام الأكبر

رابح خدوسي

منشورات الحضارة

2015



ص ب 04 (A) بئر التوتة -الجزائر 16045
هاتف/فاكس: 46. 70. 41. 21(00213)
البريد الإلكتروني: kheddoucir@yahoo.com

كلمة أولى:



لم يكن الفتى الخضر حسين يدري بانه سيصبح رجلا ذا شان كبير.

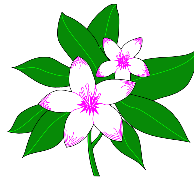
الخضر حسين

- إذا سالت عنه سكان بسكرة قالوا: عالم منّا قد هجر.

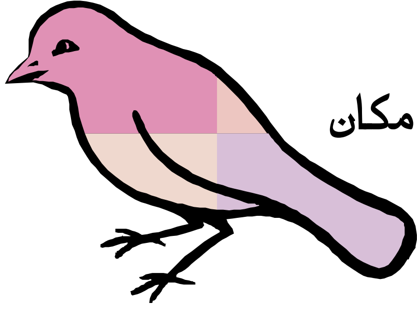
- وإذا سالت عنه بلاد مصر قالت: إمامنا الأكبر.

- وإذا سالت عنه العالم الإسلامي قال: شيخ الأزهر.

منذ أن زرت زاوية "طولقة" عام 2001 وحدّثني عنه شيخها عبد القادر عثماني وهو يفتح لي مكتبة الزاوية التي تحتوي على مئات المخطوطات الثمينة... منذ ذلك اليوم واسم الخضر حسين يؤذن في خاطري... فقرّرت القيام بالبحث عن آثاره، ولمّا وجدتها اكتشفت حياة حافلة بالنضال والعطاء، وسجلت منها هذه الصفحات لتعرف الأجيال الناشئة الخضر حسين هذا الجزائري العالم، الأديب، الشاعر.. الذي درّس عبد الحميد بن باديس... ووصل إلى مشيخة الأزهر..



المؤلف



كان الشيخ الخضر حسين كالعصفور الطائـر ينتقـل من غصـن إلى غصـن ومن شجرة إلى أخرى، حياته حـلٌّ وترحال.. من مهنة إلى مهنة، و مـن مكـان إلى مكان، لكن مواقفه دائما ثابتة كجبال الجزائر لا يحرّكها ريـح ولا يهزّها رعد.

ولنبدأ صديقي القارئ رفقة شيخنا في رحلاته واحدة واحدة.



الرحلة الأولى: قبل المولد



مـن جنـوب الجزائـر إلى جنـوب تـونس... تهـاجر أسـرة جزائريـة يتقدمها العالم المكي بن عزوز وبعض أقاربه... وتقيم بمدينة "نفطة" وفيها يؤسس هذا العالم زاوية "نفطة الشهيرة".





يولد في هذه الأسـرة صبي في 16 أوت 1877 هو ابن أخـت المكي بن عزوز.

وكما تترعرع شجرة الزيتون في الحقـل ترعرع الطفل حـسـين في أحضان العلم والإيمـان بزاوية نفطة، في رعاية والديه الكريمـين وخاله الجليل المكـي، فحفظ القرآن الكريم وتوسّع في علـوم اللغـة العربيـة وآدابها وفي الشريعة الإسلامية.



الرحلة الثانية: طلب العلم

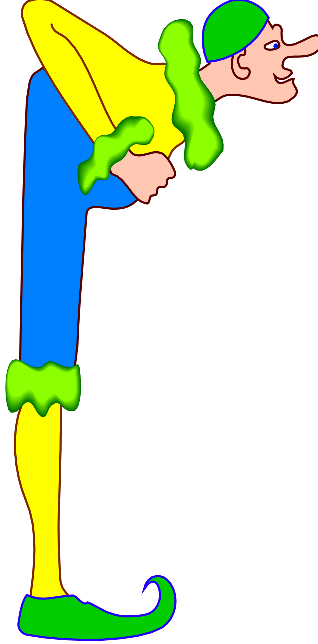
انتقـل الفتـى حـسين مـع أسـرته صـوب الـشمال... إلى تـونس العاصمة وعمره 12 سنة، كان ذلك سنة 1889، وبعد عـامين التحـق بجامع الزيتونة، فبدأت تظهر عليه علامات الذكاء والنبوغ في العلـوم الشرعية والأدب، وفي الكتابة والإنشاء..



بلغت شهرته حكومة تونس الفرنـسية فطلـب منـه الحـاكم تولـي بعض المهام قبل إتمام دراسته لكن الفتى حسين اعتذر.

الرحلة الثالثة: البحث عن الآخر...

وكانت هذه المرّة إلى ليبيا سنة 1899 حيث أقام بمدينة طرابلس أياما، ثم عاد ليواصل دراسته بجامع الزيتونة، حتى حصوله على شهادة العالمية في سنة 1902 ...



الرحلة الرابعة: زيارة الجزائر

زار الشاب الخضر أرض أجداده الجزائر وهي تعاني من الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الموضوع يذكر المؤرخ أبو القاسم سعد الله قائلا:



الجزائر العاصمة

"وتردّد على الجزائر أفراد من عائلة مصطفى بن عزوز الرحمانية التي استقرت بنفطة (تونس) منذ حوالي 1844، ومنهم الشيخ محمد الخضر حسين الذي زار الشرق الجزائري والعاصمة حوالي 1905، وكتب (رحلة جزائرية)، ذكر فيها بعض الأعيان الذين لقيهم ووصف الحالة الاجتماعية عمومًا، وسجل ملاحظات دقيقة... وهو المنشئ لجريدة (السعادة العظمى)... وقد نشر رحلته المذكورة فيها، ولعل ذلك مما شجع بعض الطلبة الجزائريين على الالتحاق بالزيتونة".

الرحلة الخامسة: البحث عن الأمن



لما أحسّ بخطر السلطات الفرنسية على حياته غادر تونس وسافر عبر مصر إلى الأستانة (اسطنبول) بتركيا، بحجة زيارة خاله المكي بن عزوز المقيم هناك، لكنّه عاد إلى تونس بعد مدة عن طريق نابولي بإيطاليا التي أقام فيها مدة من الزمن.



الرحلة السادسة: البحث عن الحرية

كانت هذه الرحلة نحو دمشق سنة 1911م عن طريق القاهرة حيث تعرّف على مجموعة من العلماء أمثال الطاهر الجزائري، محمد رشيد رضا، محب الدين الخطيب، أحمد تيمور باشا.

وفي دمشق تولى التدريس في المدرسة السلطانية، ومنها سافر إلى القسطنطينية فوصلها يوم اندلاع حرب البلقان (الروسية-العثمانية 1912)، وعاد إلى دمشق ثم سافر إلى المدينة المنورة بالحجاز في القطار.

ومن دمشق سافر إلى الأستانة فلقي وزير الحرب أنور باشا الذي عيّنه محررا حربيا بالوزارة.



طاهر الجزائري



رشيد رضا


قلعة حلب (سوريا)

الرحلة السابعة: مهمّة فى ألمانيا



قصد الخضر حسين ألمانيا ثلاث مرات:

- في سنة 1915 أرسله أنور باشا وزير الحربية العثماني إلى العاصمة الألمانية برلين في مهمة رسمية، وظل بها عدة أشهر تعلّم خلالها الألمانية، ثم عاد إلى الأستانة، لكنه غادرها إلى دمشق بعدما شدّه الحنين إليها.

- اعتقله الحاكم العام في سوريا سنة 1916م، و سجنه بدمشق شهورا، لكن أنور باشا وزير الحربية في الدولة العثمانية تدخل وأنقذه، ثم أوفده ثانية إلى برلين سنة 1917م فالتقى فيها بزعماء الحركات

الإسلامية، و بعد فترة عاد إلى الأستانة ثم إلى التدريس في المدرسة السلطانية بدمشق.

- في سنة 1918م سافر من دمشق إلى الأستانة ثم إلى ألمانيا، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى حينما بدأت مظاهر زوال الدولة العثمانية تلوح في الأفق عاد إلى دمشق.



الرحلة الثامنة: البحث عن الاستقرار

توجد هذه المرة إلى القاهرة سنة 1921م، و استقرة بها و فيها توسعت دائرة نشاطه، و كثرت حوله حلقات الطلاب و المريدين، و بدا عمله يثير أنظار العلماء و المصلحين.



نهل النيل


الخضر حسين
بريشة الفنان كمال بتيوي

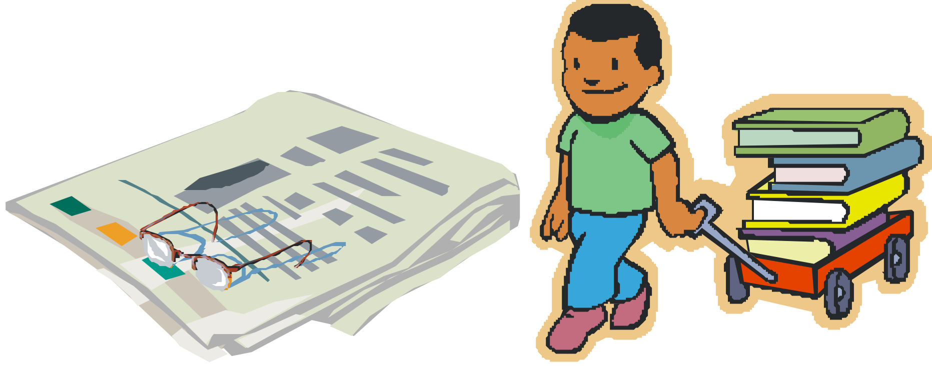
الخضر حسين صحفيا

إنه يوم كبير في حياته... يوم حصوله على شهادة العالمية، إذ صار من علماء الزيتونة... سعادة كبرى أليس كذلك؟!

بلى، إنها السعادة التي أنشا باسمها مجلة تسمى: "مجلة السعادة العظمى" في السنة نفسها التي تخرّج فيها... وكانت مجلة متميزة على مستوى شمال افريقيا... بل مجلة رائدة في العلوم والآداب.

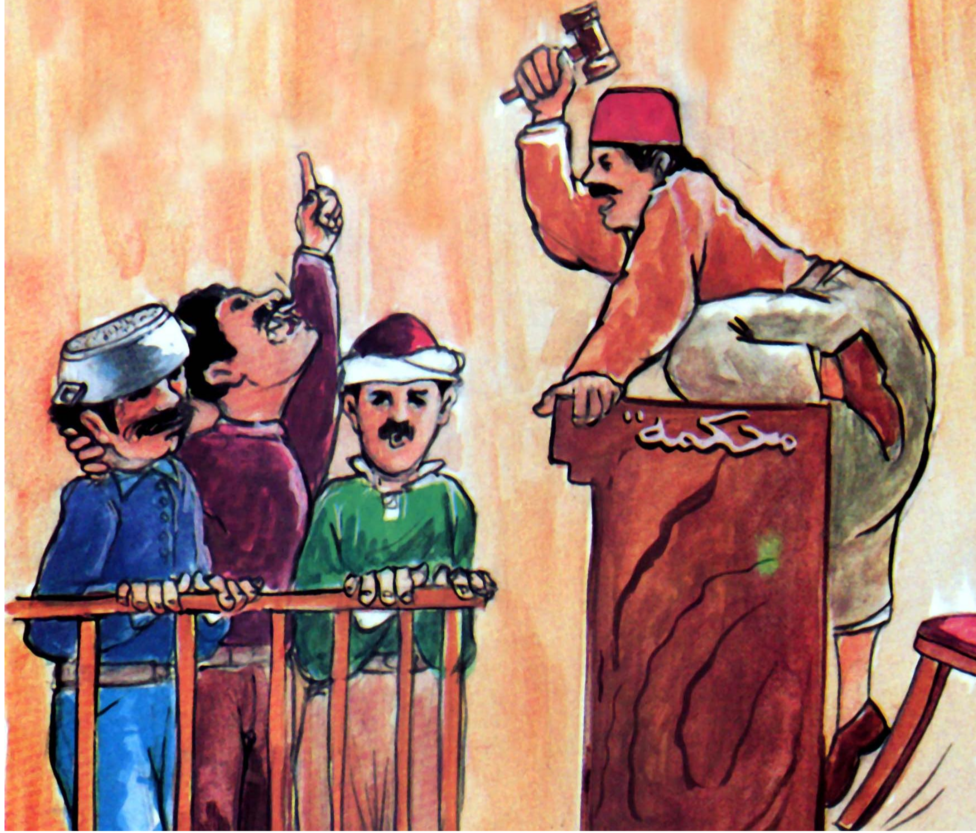
واتسعت شهرته، وعرفه الناس بثقافته، فقد كان خطيبا ومحاضرا وأديبا شاعرا.

كما شغل منصب رئيس تحرير مجلة "لواء الإسلام" وبدأ فيها تفسيره للقرآن سنة 1930.



الخضر حسين قاضيا

في سـنة 1905 تـولى القـضاء بمدينـة بنـزرت ونواحيها كما كـان مدرسا وخطيبا بجامعها الكبير، وفي سنة 1908 استقال من القضاء، وعاد إلى تونس ليمارس التدريس بجامع الزيتونة متطوعا ثم معيّنا، ورفض بعد ذلك رغبة فرنسا في عودته إلى سلك القضاء.



الخضر حسين مؤلفا

ألف سنة 1922 رسالة بعنوان "الخيال في الشعر العربي" وحقق لعدة سنوات كتب التراث بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، ثم تحصل على شهادة العالمية من الجامع الأزهر بعد امتحان ناله بجدارة، فاصبح واحدا من علماء الأزهر الشريف.





توليه مشيخة الأزهر

بعد قيام ثورة مصر سنة 1952 ... وفي يوم الثلاثاء 6 سبتمبر 1952 توجه ثلاثة وزراء من الحكومة إلى بيت الشيخ الخضر حسين الموجود في شارع خيرت، ما السبب يا ترى؟!

قالوا له:

- لقد اختارتك مصر الثورة والحكومة والشعب لتولي هذه المنارة الكبرى، الأزهر الشريف هذه الجامعة المشرقة على العالم العربي الاسلامي، لتكون الإمام الأكبر وشيخ الأزهر، فحمل الأمانة ولم يدخر جهدًا في أدائها.



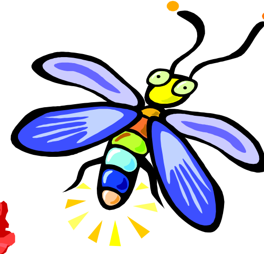
جامع الأزهر الشريف

عضويته

كان الشيخ الخضر حسين عضوا في:

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1932 .
- المجمع العلمي العربي بدمشق.
- هيئة كبار العلماء .
- جمعية الهداية الاسلامية.
- الجمعية الزيتونية 1907.
- جمعية الشبان المسلمين سنة 1927 التي أسسها مع صديقه أحمد تيمور.
- جمعية تعاون جاليات افريقيا الشمالية 1924، وكان من أعضائها الفضيل الورتلاني والبشير الابراهيمي من الجزائر وبورقيبة من تونس.



مواقفه :

كانت للشيخ الخضر نفس أبيّة عزيزة لا يقبل المساومة أو المهانة، أليس جزائريا؟!

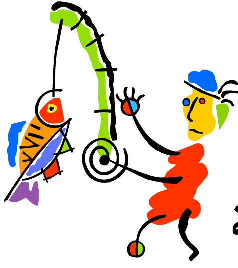
وكما كانت له رحلات من بلد إلى بلد كانت له مواقف عبّر عنها بأفعاله أو أقواله شعرا ونثرا، نذكر من بينها:

الحرية... اللغة

في إحدى محاضراته التي ألقاها يوم 9جوان 1906 أمام قدماء خريجي الصادقية بتونس (حول الحرية في الاسلام) ضمّنها إشارة إلى وضعية المواطنين تحت سلطة الحاكم الفرنسي آنذاك، كما ألقى محاضره سنة 1909 في نادي الجمعية الخلدونية عنوانها: "حياة اللغة العربية".

فلا كان من عيش أرى فيه أمتي ❖ تساس بكفي غانم وغريب!

نقد الواقع



و مـن موقعـه بـوزارة الحربيـة العثمانيـة اطلـع الخــضر حــسين علــى مــواطن الفــساد في الدولــة العثمانية فسجل ذلك شعرا:

أدمـى فـؤادي أن أرى الــ ❖ أقلام ترسف في القيود
فهجرت قوما كنـت فـــي ❖ أنظارهم بيت القصـيـد
وحسبت هذا الشرق لــم ❖ يبرح على عهدالرشيد
فـإذا الـمـجـــال كـــانـــه ❖ من ضيقه خلق الوليد!



فى الدعوة إلى النهضة و الصناعة

يقول في حث الشباب على النهضة الصناعية:

أبناء هذا العصر، هل من نهضـــة ❖ تشفي غليلا حـره يتصـعـد؟
هـذى البـضـائـع ذللت أدواتـهـا ❖ وسبيلها للعالـمـين مـمـهـد
إن الـمـعـــارك و الـصـنـائع عـدة ❖ باب الترقي من سواها موصد!

الدفاع عن العرب

قال له المدير الألماني للقسم الشرقي بوزارة الخارجية الألمانية وهو يرافقه في القطار بضواحي برلين عن قول ابن خلدون:

"إن العرب أبعد الناس عن السياسة.." فرفض الخضر حسين هذه المقولة، وقال:

عذيرى من فتى أزرى بقومي ❖ وفي الهواء ما يلد الهذاء

سلوا التاريخ عن حكم تملت ❖ رعاياه العدالة والإخاء

هو الفاروق لم يدرك مداه ❖ أمير هز في الدنيا لواء



استقالاته من الوظائف



قدم استقالته من وظائف مهمة كان يشغلها:

- استقالته من منصب القضاء في بنزرت.

- استقالته من رئاسة تحرير مجلة (نور الإسلام) سنة 1933 عندما تم تعيين مدير تحرير دون علمه، وقد كان بينهما جدل فكري في الصحافة.

- استقالته في 7 يناير 1954 من مشيخة الأزهر عندما أحسّ بضغوط تريد منه العمل بما لا يرضيه، وعندها قال قولته الشهيرة:

"يكفيني كوب لبن وكسرة خبز، وعلى الدنيا بعدهما الفناء".

وقد أشار إلى سبب الاستقالة من المهمة التي أداها كاملة وأسلمها موفورة، حينما قال:

"إن الأزهر أمانة في عنقي، أسلّمها-حين أسلّمها-موفورة كاملة، وإذا لم يتات أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يديّ فلا أقل من ألا يحصل له نقص!".

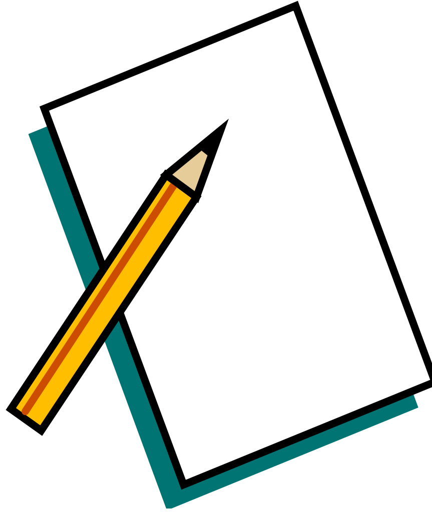


الخضر حسين

مقاومة الإحتلال الأجنبى

ـ قاوم الخضر حسين الغزو الايطالي لليبيا ، واستنهض الحكومة العثمانية للدفاع ضد أعداء الحق بلسانه وبقلمه من خلال مجلة "السعادة العظمى".

- ناضل ضد الوجود الفرنسي في شمال افريقيا فوجّهت له سلطات فرنسا سنة 1911 تهمة "بث روح العداء" للغرب وخاصة تجاه سلطات الحماية الفرنسية بتونس.

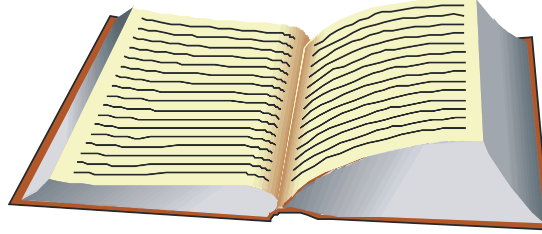


- معاركه الفكرية:

كانت للشيخ الخضر حسين ثقافة واسعة وحسٌّ فكريٌّ عميقٌ مكّناه من القيام بمواجهات فكرية في شكل مقالات وكتب ومحاضرات، يلخصها (المواجهات) الدكتور محمد عمارة عن محب الدين الخطيب في قوله: "وفي سنة 1925م بدأت معاركه الفكرية الكبرى بكتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم)...



لما طبع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، حيث أهديت إليه نسخة منه، ففاجاته أفكار صاحبه... فعكف على الردّ عليه ونقضه، فطبع الرد في نفس السنة، ونفدت طبعته خلال شهر واحد!



وفي العام التالي (سنة 1926م) ظهر كتاب (في الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين، فردّ عليه الشيخ حسين بكتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) فصنع معه ما صنع مع كتاب (الاسلام وأصول الحكم) عندما فنّده فقرة فقرة، وفكرة فكرة، مع أدب رفيع في الحوار وبراعة في الجدل كشفت عن عقل متمكن ومتمرس في ميدان البحث والمناظرة، يغترف صاحبه من معين من العلم لا ينضب.

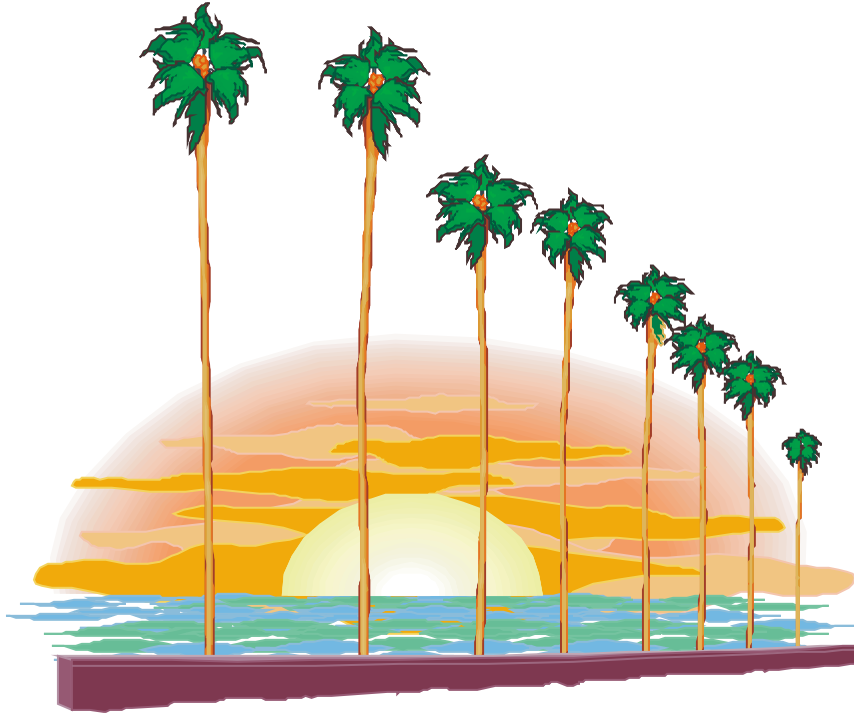


طه حسين

وفاته :

تفرغ للبحث والتاليف والمحاضرة حتى وفاته يوم 3 فبراير 1958 فشيّعه العلماء والمثقفون، وامتدّ موكب جنازته مابين ميدان الخلق والجامع الأزهر.

ودفن حسب وصيته في المقبرة التيمورية قرب صديقه العلامة أحمد تيمور.





آثــــاره:

لم يترك بعد وفاته غير أعماله الفكرية وذكره الطيب، ومن أعماله المنشورة في مجلة المجْمَع اللغوي نذكر الأبحاث الآتية:

1- المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية.

2- شرح قرارات المجمع والاحتجاج بها.

3- الاستشهاد بالحديث في اللغة.

4- وصف جمع العاقل بصفة فعلاء.

5- اسم المصدر في المعجم.

6- طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية.

7- شعر البديع في نظر الأدباء.

8- من وثق من علماء العربية ومن طعن فيه.



ومن المؤلفات:

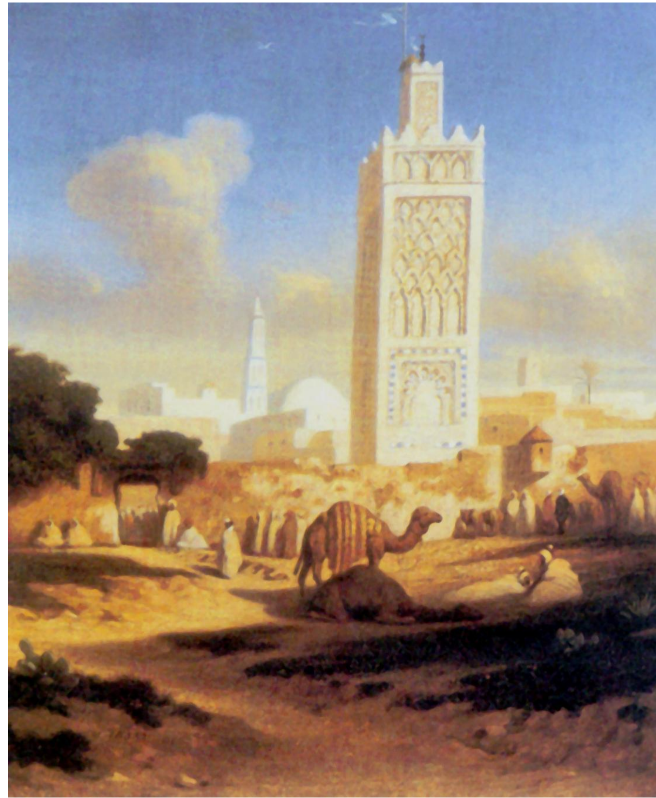
1- رسائل الإصلاح (ثلاثة أجزاء).
2- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
3- نقض كتاب في الشعر الجاهلي.
4- القياس في اللغة العربية.
5- الخيال في الشعر العربي.
6- آداب الحرب في الإسلام.
7- خواطر الحياة (ديوان شعره).
8- تعليقات على كتاب "الموافقات" للشاطبي.
9- رحلة جزائرية.



شهادات:

قال فيه صديقه محب الدين الخطيب:

"هذا رجل آمن بالإسلام ودعوته، وأحب من صدر حياته أن يكون من الذين قال الله سبحانه فيهم: (إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)"



وقال الدكتور محمد عمارة:

"لقد كان رحمه الله عقلا إسلاميا مجددا، ومناضلا في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي، يتحلى بخلق الأولياء والصديقين والشهداء... فهو في تونس يواجه الاستبداد الاستعماري، والمسخ الحضاري، بالدعوة إلى إحياء العربية لتكون سلاحا في معركة الأمة من أجل حريتها واستخلاص هويتها العربية الإسلامية... وهو في المشرق "بدمشق" يواجه تسلط السفاح أحمد جمال باشا، فيدفع الثمن سجنا وتعذيبا..

لقد كان عداؤه للاستعمار الأجنبي وللاستبداد الداخلي شديدا ودائما..

وهو في مصر يتصدى لخطر الغزو الفكري، ممثلا في تيار "التغريب"، فينقض كتابي على عبد الرزاق وطه حسين... ويسهم بالفكر في إنهاض العروبة وتجديد الإسلام.. ويسلك سبل التنظيم الاجتماعي والفكري والقومي والعلمي".

مجلة الدوحة العدد 165 سنة 1986

ويذكر د. أبو القاسم سعد الله:



"وكان شيوخ زاوية نفطة ياتن إلى الجزائر بحكم الأصل من جهة وبحكم الروابط الروحية (الرحمانية) والتعليمية من جهة أخرى... وقد قام الشيخ محمد الخضر حسين وهو منهم بجولات في الجزائر أوائل القرن، فنزل عنابة وباتنة والعاصمة، ونجد ذلك في كتابه (رحلة جزائرية)، ثم أسسوا زوايا تعليمية في العين البيضاء وخنشلة وخيران وسوق أهراس"

"كذلك حلّت باسطنبول شخصيات من أصول جزائرية من أجل تجنيد التاييد العثماني لقضية الجزائر والمغرب العربي عمومًا...

ومن تلك الشخصيات الشيخ المكي بن عزوز الذي ذاع صيته كعالم وشاعر وسياسي ومتصوف، ثم قريبه محمد الخضر حسين، وكلاهما كان قد زار الجزائر وتعرّف على أحوالها وهي تحت الاستعمار".

